السيرة النبوية

اليتيم والتبشير بنبوته

إعداد

محمد عبده

مكتبة الإيمان بالمنصورة

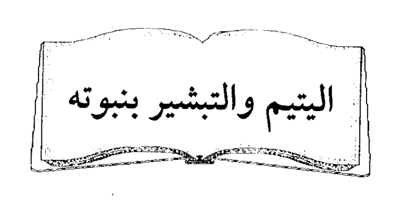
الطبعة الأولى

١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م

مكتبة الإيمان

المنصورة - أمام جامعة الأزهر

ت : ٢٢٥٧٨٨٢

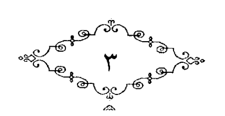


اليتيم:

كلنا نعلم أن عبد الله بن عبد المطلب والد الحبيب محمد ﷺ مات وأمه حامل فى شهرها الثانى.

وعندما أعادته السيدة حليمة السعدية ، قامت أمه آمنة بكفالته وتربيته وفى يوم من الأيام وسن النبى ﷺ يومئذ ست سنوات أخذته أمه آمنة لزيارة أخوال أبيه « بنى عدى بن النجار » ، وبينما هى عائدة أدركها الموت فماتت فى قرية تسمى « الأبواء » هذه القرية بين مكة والمدينة ولكنها إلى المدينة أقرب ، وعندما ماتت دفنها الناس في «الأبواء» وعادوا بمحمد ﷺ بعد أن أصبح يتيم الأب والأم.

فقد أمه وهو فى السادسة من عمره، فأشفق عليه جده عبد المطلب وتولى تربيته .



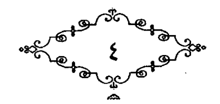
وقامت بحضانته السيدة أم أيمن، وكان جده عبد المطلب يحبه عن كل أبنائه ، وكان يفضله عن أى مخلوق .

* إجلال عبد المطلب لليتيم :

بعد أن ماتت أم سيدنا محمد ﷺ أصبح يتيم الأب والأم فرعاه جده عبد المطلب ولكن كانت رعاية تختلف عن أى رعاية فقد كان يجله ويقدمه على جميع أبنائه والدليل على ذلك .

كان يوضع لعبد المطلب فراش فى ظل الكعبة ، وكان لا يستطيع أى فرد من أبنائه الجلوس على هذا الفراش إجلالا واحتراما لأبيهم عبد المطلب ، ولكن رسول الله ﷺ رغم صغر سنه كان يأتى ويجلس على هذا الفراش وعندما يأتى عبد المطلب كان أولاده يحاولون إيقاف محمد ﷺ وإخراجه بعيدا عن هذا الفراش.

فيقول عبد المطلب : دعوا ابنى ، فوالله ، إن له لشأنا ، ثم يجلسه معه علي الفراش ويمسح ظهره بيده ويسره ما يراه يصنع.



* كفالة أبى طالب لليتيم :

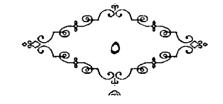
اشتد المرض بعبد المطلب جد رسول الله ﷺ فأوصى ابنه أبَا طالب قائلاً له : يا بنى قم بتربية ابن أخيك محمد واحرص عليه وارعه واعلم أن له شأنا عظيما .

وبعد هذه الوصية مات عبد المطلب ورسول الله ﷺ يبلغ من العمر ثمانية أعوام ، فأخذه عمه أبو طالب ورباه عنده وحرص عليه كما وصاه أبوه عبد المطلب .

ولقد علم أبو طالب مكانة هذا اليتيم من قصتين القصة الأولى : مع رجل من مكان يسمى « لهب » ، والقصة الثانية : مع « بحيرى الراهب» ، والآن هيا بنا لنقرأ القصتين .

* القصة الأولى : رجل من بنى لهب :

اعتاد أهل مكة على عادة غريبة جدًا ، هذه العادة هى « أن يأتى إليهم رجل من مكان يسمى « لهب » هذا الرجل يمتلك إحساسًا



خاصًا جدًا، من خلال هذا الإحساس يخبرهم ماذا سيحدث لأولادهم عندما يكبرون ؟ ، وتعود أهل مكة حينما يأتى هذا الرجل أن يعرضوا عليه أبناءهم .

وفى اليوم المحدد جاء هذا الرجل وجمع أهل مكة غلمانهم وأخذ الرجل ينظر إليهم ويخبرهم بما سيحدث لهم عند الكبر ، وكان من ضمن الغلمان سيدنا محمد ﷺ ، فنظر إليه الرجل ، ثم انشغل عنه قليلاً فأخذه عمه أبو طالب بعيدًا عن الرجل قال الرجل: أين الغلام الذى نظرت إليه ؟ ، ولما رأى أبو طالب حرصه عليه غيبه عنه.

فجعل الرجل يقول: ويلكم ! ردوا على الغلام الذى نظرت إليه، فوالله ليكونن له شأن .

فانطلق أبو طالب بسيدنا محمد ﷺ وخبأه عن أعين الناس.

❊ القصة الثانية : اليتيم وبحيري الراهب :

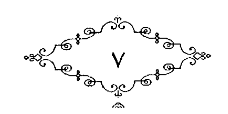
استعد عبد المطلب للخروج إلى الشام من أجل التجارة، فحزن

سيدنا محمد ﷺ لذلك ، واقترب من عمه وطلب منه أن يذهب معه إلى الشام، فرق له وقال : والله لأخرجن به معى ، ولا يفارقنى ولا أفارقه أبدًا .

ولما نزلت القافلة بصرى من أرض الشام ، كان يوجد هناك راهب يجلس فى صومعة له ، وكان من أكبر علماء النصرانية ، وكل من يريد أن يتعلم النصرانية يأتى إليه ، فيتعلم عنده.

وكان بحيرى لا يخرج من صومعته عندما يرى قافلة أهل مكة قادمة ، ولكن فى هذا العام حدث شيء غريب لقد رأى بحيرى القافلة بالقرب من صومعته فخرج ونادى عليهم وأعد لهم طعامًا كثيرًا، وقال لهم : أنتم ضيوفى صغيركم وكبيركم فاحضروا جميعا حتى تأكلوا وتشربوا .

والسبب فى هذه الدعوة التى وجهها بحيرى : « أنه رأى غمامة فى السماء تظل غلاما صغيرا هو سيدنا محمد ﷺ ورأى أيضا هذا



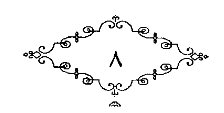
الغلام عندما نزل هو والقافلة استظل بشجرة فتمايلت عليه أغصانها وهذه الغمامة التى فى السماء لا تفارقه أبدًا فعلم بحيرى بأمر هذا الغلام ولذلك أعد الطعام ، وطلب من القافلة كلها صغيرها وكبيرها أن تحضر حتى تأكل ويتبين بحيرى أمر هذا الغلام».

لذلك شك رجل فى أمر بحيرى فقال له: والله يا بحيرى إن لك لشأنا اليوم! ما كنت تصنع هذا بنا، وقد كنا نمر بك كثيرًا ، فما شأنك اليوم ؟!

فقال بحيرى : صدقت ، قد كان ما تقول ، ولكنكم ضيف وأحببت أن أكرمكم ، وأصنع لكم طعاما ، فتأكلوا منه كلكم .

فاجتمعوا إليه ، وتخلف رسول الله ﷺ من بين القوم ، لأنه كان صغيرا .

فلما نظر بحيرى إلى القوم لم ير سيدنا محمدًا ﷺ ، فقال : يا معشر قريش ! لا يتخلفن أحد منكم عن طعامى .



فقالوا له: يابحيرى ، ما تخلف عنك أحد ينبغى له أن يأتيك إلا غُلام وهو أصغر القوم سنا فجلس عند القافلة .

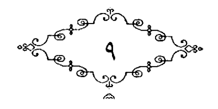
فقال بحيرى : لا تفعلوا ، ادعوه ، فليحضر هذا الطعام معكم.

فقال رجل من قريش : واللات والعزى إن كان للؤم بنا أن يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا.

ثم قام إليه فاحتضنه ، وأجلسه مع القوم.

فلما رآه بحيرى ، جعل ينظر إليه نظرًا شديدًا ، وينظر إلى أشياء من جسده ، قد كان يجدها عنده فى الإنجيل فى صفة نبى آخر الزمان، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا ، قام بحيرى إلى محمد ﷺ .

وقال له : يا غلام ، أسألك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه « وكلمة اللات والعزى » كانت قسم لأهل الكفر عبدة الأصنام ، ولقد قال بحيرى ذلك ليختبر هذا الغلام فإن كان هو



نبى آخر الزمان سوف يرفض هذا القسم الكافر ».

وبالفعل قال محمد ﷺ : لا تسألنى باللات والعزى شيئا ، فوالله ما أبغضتُ شيئا قط بغضهما .

فقال له بحيرى : فبالله إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه ؟.

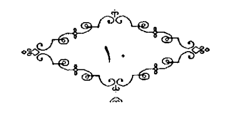
فقال له محمد ﷺ : سلنى عما بدا لك .

فجعل بحيرى الراهب يسأل عن أشياء من حاله : فى نومه وهيئته ، وأموره .

فجعل رسول الله ﷺ يخبره ، فيوافق ذلك ما عند بحيرى من صفة نبى آخر الزمان ، ثم نظر بحيرى إلى ظهر محمد ﷺ فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التى عنده فى الإنجيل .

* بحيرى الراهب يوصى أبا طالب باليتيم :

تأكد بحيرى الراهب من أن هذا الغلام هو نبى آخر الزمان ،



فأجلسه بجواره ونظر إليه نظرة شوق وأمل.

وفى هذه اللحظة دخل أبو طالب عم رسول الله ﷺ .

فقال بحيرى : ما هذا الغلام منك ؟ « أى ما هى قرابتك بهذا الغلام».

فقال له : إنه ابنى.

فقال بحيرى : ما هو بابنك ، وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا .

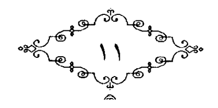
« فمن ضمن صفات النبى « نبى آخر الزمان » أنه سيكون يتيما .

فقال أبو طالب : فإنه ابن أخى .

قال بحيرى : فما فعل أبوه ؟.

قال أبو طالب : مات وأمه حبلى به.

قال بحيرى : صدقت ، فارجع بابن أخيك إلي بلده ، واحذر



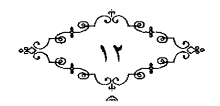
عليه اليهود ، فوالله لئن رأوه ، وعرفوا ما عرفت ليبغِيَنَّه شرًا، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم فأسرع به إلى بلادك .

فعاد أبو طالب بمحمد ﷺ إلى مكة وحافظ عليه ، وكان يخشى عليه من اليهود بل ، ومن كل فرد كائنا من كان.

وكان رسول الله ﷺ فى الفترة التى جلسها عند عمه مثال القناعة والبعد كل البعد عن الأمور التافهة التى تشعل الأطفال فى سنه.

وقالت السيدة أم أيمن : كان رسول الله ﷺ إذا حضر الطعام أقبل مع الصبيان فكان الصبيان يتخطفون الطعام ، وكان هو قانع بما يسره الله له .

هذا هو الحبيب محمد ﷺ وهذه هى أعماله فى طفولته وكانت قصته مع بحيرى الراهب وهو بلغ من العمر اثنتى عشرة عاما وما حكته أم أيمن وهو فى نفس السن تقريبا .



* راعى الغنم :

رسول الله ﷺ كان حليما حكيما ، وقد أخبر بحيرى عمه أبا طالب أن ذلك الغلام سيكون له شأن عظيم ، وكذلك أخبره الرجل من بنى لهب . والنبى له علامات فى الصغر ، وقبل أن يبدأ الدعوة؛ فتعالوا معى لنعرف هذه العلامات .

* العلامة الأولى : رعى الغنم :

قال رسول الله ﷺ : « **ما من نبى إلا وقد رعى الغنم** ».

فقال الصحابة : وأنت يا رسول الله ؟

فقال : « وأنا فقد كنت أرعاها علي قراريط لأهل مكة».

أتدرون لماذا يا أحباب رسول الله ﷺ ؟ لأن رعى الغنم يُكسب الإنسان الصبر والحلم ويجعله أعمق تفكيرًا وأكثر حكمة .

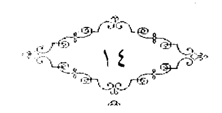
* العلامة الثانية : إنكار المنكر :

إن رسول الله ﷺ كره عبادة الأوثان « الأصنام » وكل أنواع

الباطل التى كان يأتيها فتيان قريش ورجالها من الغناء وشرب الخمر والقمار وسائر الملاهى ، ولقد أخبر رسول الله ﷺ عن ذلك بنفسه وقال: «لما نشأت بُغضت إلىَّ الأوثان وبغض إلىَّ الشعر ، ولم أهم بشىء مما كانت الجاهلية تفعله إلا مرتين ، كل ذلك يحول الله تعالى بينى وبين ما أريد من ذلك ، ثم ما هممت بسوء بعدهما حتى أكرمنى الله برسالته . قلت ليلة لغلام كان يرعى معى لو أبصرت لى غنمى حتى أدخل مكة فأسمر كما يسمر الشباب ، فخرجت حتى جئت أول دار من مكة أسمع عزفا بالدفوف والمزامير لعرس كان لبعضهم فجلست لذلك فضرب الله على أذنى فنمت فما أيقظنى إلا حر الشمس ، ولم أقض شيئا ؛ ثم عرانى مثل ذلك مرة مأخرى « أى حدث مثل ذلك مرة أخرى » .

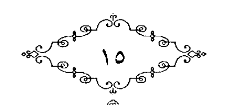
*** العلامة الأخيرة : حفظ الله :**

يقول ابن هشام : شب رسول الله ﷺ والله تعالى يكلؤه



ويحفظه من أقدار الجاهلية ، لما يريد به من كرامته ورسالته ، حتى بلغ أن كان رجلا أفضل قومه مروءة ، وأحسنهم خلقا ، وأكرمهم حسبا وأحسنهم جوارًا ، وأعظمهم حلما ، وأصدقهم حديثا ، وأعظمهم أمانة ، وأبعدهم من الفحش والأخلاق التى تدنس الرجال، تنزها وتكرما حتى سَمَّاه قومه « الأمين » لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة .

من هذه العلامات الثلاث أحباب رسول الله ﷺ نستطيع أن نقول إن بشارة بحيرى الراهب كانت صادقة لأن للأنبياء علامات تخبر عنهم قبل بعثتهم . . . هذه العلامات يعلمها أهل الكتاب ، وكما علمنا أن بحيرى كان نصرانيا على علم كبير بالإنجيل ، وعندما لاحظ علامات النبوة على رسول الله ﷺ أخبر عمه حتى يحترز من اليهود وقد ذكرت لكم بعد قصة بحيرى بعض العلامات التى لم يذكرها بحيرى ولكن شاهدها أهل مكة جميعا.



حتى إنهم سموا رسول الله ﷺ بـ « الأمين » وفى القصة القادمة إن شاء الله ستتعرف على أمانته في التجارة وزواجه من السيدة خديجة بنت خويلد ـ رضى الله عنها .



